

مقالات القديس انبا ساويرس
اسقف الاسموثين

٢

فَعَلَّ الشَّيْءَ الْجَارِيَةَ

يوسف حبيب

مليكه حبيب يوسف



حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس
بابا وبطريك الكرازة المرقسية

مقدمة

عن فعلة الساعة الحادية عشرة الوارد ذكرهم في الإنجيل
المقدس كتب القديس ساويرس أسقف الاشمونين مقالته القوي
في تثبيت المؤمنين وعزائمهم مرشداً لإياهم إلى الطريق الذي يؤدي
إلى الحياة الأبدية والملك الدائم مبيتاً وصايا الرب يسوع بشأن
أتعاب هذا العالم الحاضر في سبيلها . وذكر من الشواهد المتدسة
وأقوال الرب يسوع ما يوضح ذلك بأسلوب سلس منع شاخ
في بلاغته رائع في معانيه وقد أتى في تفسير الآيات بأعجب العجب
فيه غاية المسأمل ونزهة القسارى . فلنقبل على قراءته بامعان
وتفهم معانيه بذكر ضاف لنعم فائدته . ولربنا الحمد والعظمة
إلى أبد الأبدين آمين

+

+

+

عزاء المؤمنين وصبرهم على الأحزان

استهل المقال كعادته فقال : سألتني يا حبيب الله يضىء
عيني عتلك بروح قدسه المعزى لتفهم سرائر لاهوته ، أن أعرفك
ماسبب كثرة الأحزان على المؤمنين بالمسيح سيدنا ، وهو قادر
على دفعها عنهم . وأعرفك سبب ذلك بمحنة يسوع ابن الله
الحى . وافهم ما أذكره لك .

إذا عرفنا من تأنس ابن الله وصلبه أن سبب صليبه وآلامه
عدله ورحمته ، وأنه من أجل العدل تأنس وتبسه بنا في كل
شئ ما خلا الخطيئة ، حتى خاصنا من يد عدونا بالعدل بغير
ظلم . كما أن سبب كثرة أحران المؤمنين عدله أيضاً . فإنه قبل
بجى المسيح سيدنا ، كان الفردوس مغلقتاً من جراء مخالفة آدم
وكان كل إنسان غاطىء أو بار يموت ينزل إلى الجحيم ، من
أجل آدم أبيه : مات آدم وأقام في الجحيم نحو خمسة آلاف
وخمسة سنة : ونوح الصديق أقام في الجحيم نحو ثلاثة آلاف
سنة : وإبراهيم رأس الآباء أقام في الجحيم نحو ألفى سنة : وموسى
الذى كله الله خمسة وسبعين دفعه ، مثل ما يكلم الإنسان
رفيقه ، أقام في الجحيم نحو ألف وسبعمئة سنة ، حتى تأنس
المسيح سيدنا ابن الله ، وفداهم بنفسه من مخالفة آدم أبيهم ،

وأوفى عنهم العقاب الذى كانوا مستوجبيه إلى الأبد ومات عنهم
وانحدر إليهم وأصعدهم جميعهم من الجحيم إلى نعيم الفردوس ،
ووعده جميع المؤمنين به والحافظين لوصاياه ، المعتمدين بإسمه
أنهم لا يعاينون الجحيم ولا ينزلون إليه : بل في ساعة مفارقة
نفوسهم لأجسادهم يصعدون إلى الفردوس يتمتعون فيه ، حيث
آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الصديقين .

ثم نظر بعدله إلى ذلك إذا أعطاه للمؤمنين بغير تعب ،
فيكون قد ظلم آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى ، لأن كل واحد
من هؤلاء لم ينل النعيم إلا بعد تعب في الجحيم هذه المدة الطويلة ،
لذلك فرض على المؤمنين به ناموساً ضيقاً في الدنيا .

ناموس الله في الدنيا

أمرهم قائلاً : « أدخلوا من الباب الضيق ، لأن الباب واسع
والطريق رحبة التى تؤدى إلى الهلاك ، والداخلون فيها كثيرون ،
والباب ضيق والطريق كرب التى تؤدى إلى الحياة الأبدية ،
وقليلون الذين يجدونها . » وقال أيضاً : « طوبى للجياع والعطاش
الذين يفتنونهم يشبعون ، طوبى للحرثان فإنهم يتعززون ، طوبى
للساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات . »

فرض الرب يسوع المسيح على المؤمنين به هذه الوصايا الضيقة في الدنيا لكي باحتياها ينالون نعيم الفردوس بعدل ، لان احتمال هذا التعب بارادتهم واختيارهم يكون كمثل التعب الطويل الذي احتمله آدم ونوح و ابراهيم وموسى في الجحيم تلك السنين الطويلة . انه جعل المؤمنين ينالون بهذا التعب اليسير ما ناله أولئك بذلك التعب الطويل . فيكون تعب أولئك كن تعب النهار جميعه ، وتعب هؤلاء كن تعب ساعة واحدة من النهار وأخذ الاجر عن الساعة الواحدة كما أخذ أولئك عن النهار كله كما قال في إنجيله المقدس .

قال : يشبه ملكوت السموات انساناً صاحب كرم خرج بالعادة يستأجر فعلة لكرمه وشرط لكل واحد منهم ديناراً في النهار . ثم خرج في الساعة الثالثة في النهار وجد قوماً آخرين بطالين أرسلهم إلى الكرم . ثم خرج في الساعة السادسة وجد قوماً آخرين أرسلهم كذلك إلى الكرم . ثم خرج في الساعة التاسعة أرسل كذلك إلى الكرم . ثم خرج في الساعة الحادية عشرة وجد قوماً قال لهم ما بالكم قيام النهار كله بطالين . قالوا له لم

١ - أمرهم بتقبل الجوع والعطش والحزن والبكاء والمسكنة .

ب - أوصاهم أن يختاروا ذلك لنفوسهم ويرتضونه بهوهم .

ج - عين أوقاناً للصوم ونبهه إلى الصلاة الدائمة . وذلك أنه حدد عليهم جميعهم صوم الأربعاء والجمعة في كل أسبوع على الدوام خلا الاثنين ، وصوم الأربعاء يوماً في كل سنة ، يصومونها عن الاطعمة والاشربة على قدر طاقتهم . ويصومونها عن جميع الشهوات .

د - أوصاهم أن ينفضوا المال ويرفضوه وأن يعطوه للبحاجين ، عن نفوسهم ، وأن يقتنعوا منه بما يكنهم ليومهم الحاضر الذي لا يعلنون أنهم يعيشون إلى غده أم لا .

ه - أمرهم بالغفران والصفح عن بعضهم البعض ، وترك الانتقام واحتمال بعضهم بعضاً .

و - أمرهم بالافتتاح في رغبة الدنيا بأمرأة واحدة واحتمالها في كل أفعالها ما خلا الخطيئة والزنا ، من غير أن يكون الانسان مسترخياً مغتبطاً بالشهوة الدنيوية ، بل يكون كثير الصبر على ذلك ، وإبعاد نفسه عنها على قدر طاقته .

يستأجرنا أحد . قال لهم امضوا إلى الكرم . وعند المساء دعا
وكيله وأمره أن يدعو الفعلة ويعطى لهم أجرتهم ديناراً لكل
واحد ويبتدئ بهم من الآخرين إلى الأولين . فلما أعطى الذين
استأجرهم في الحادية عشرة ديناراً لكل واحد ظن الأولون أنه
سيعطيهن أكثر من ذلك ، فلما أخذوا ديناراً كل واحد تمتموا
عليه وقالوا : هؤلاء الآخرون ساعة واحدة عملوا - أو بهم بنا
نحن الذين احتملنا مثل النهار وحره .

شرح الآيات

أوضح بهذا القول أنه ساوى المؤمنين به بسبب التعب
البسير ، في نعيم الفردوس ، بالذين تعبوا في الجحيم تلك السنين
كلها . لأن الكرم يعني به العمل بمرضاته والتعب على اسمه ،
والاجرة يعني بها النعيم المعد لأدم وذرئته . وأول من خلق
لذلك آدم وهو الذي استأجره من باكراً النهار ، وهو الذي طال
تعبه في الجحيم أطول المدة التي أقامها ، كتعب المستأجرين .
ونوح الثاني من بعده كالذين استأجرهم في الثالثة من النهار .
وإبراهيم أتى من بعده كالذين استأجرهم في السادسة من
النهار .

وموسى أتى من بعده كالذين استأجرهم في التاسعة من
النهار .

والمؤمنون بالمسيح أتوا بعد ذلك كالذين استأجرهم في الحادية
عشرة من النهار .

ولذلك قالوا له أنه لم يستأجرنا أحد ، لأن المؤمنين بالمسيح
كانوا أمماً عبدة للأصنام - قبل إرسال تلاميذه القديسين - وهم

الذين يتعبون في هذه الدنيا باحتمال وصايا المتعبة وينالون ما ناله أولئك من نعيم الفردوس دون أن ينزلوا إلى الجحيم ولا يتعبوا فيه فيكون تعبهم ساعة واحدة وأجرهم مثل أجر الآخرين ويأخذون الأجر قبلهم ، كما قال عن اللص الجدين الذي آمن به فقد سبق الجميع إلى الفردوس ، وأخذ الأجر قبلهم .

نظر المسيح والشركة معه :-

والمؤمنون أجمعون في الدنيا قبل الموت ينظرون المسيح في الدنيا بأعين قلوبهم ويخالطونه ويتعمون به ويشتركون معه في دمه وجسده . وواحد من أولئك السابقين لم ينل شيئاً من ذلك في هذه الدنيا . ولذلك يقول الرب للمؤمنين به في إنجيله المقدس : « طوبى للأعين التي تنظر ما نظرتم . أقول لكم إن أنبياء كثيرين وصدّيقين اشتبهوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون فلم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون فلم يسمعوا » . فقد نال المؤمنون أجر ملكوت السموات في الدنيا قبل الموت ، لأن الذين في ملكوت السموات ليس لهم نعيم غير النظر إلى وجه المسيح ، والشركة معه . فالمؤمنون في الدنيا ينظرونه ويشتركون معه في لحمه ودمه . وأولئك الذين في الفردوس لم يكونوا نالوا ذلك في حياتهم ، وإلى الآن لم يصعدوا إلى الملكوت لينالوه

لأنه يتركهم في الفردوس إلى أن تكمل مدة المؤمنين فيصعدون ثم ينالون الملكوت الدائم إلى الأبد ، لأنه تركهم في الفردوس لكي لا ينالوا الأجر قبل المؤمنين به . كما قال في مثله أنه يعطي الآخرين الأجر قبل الأولين . فهو قد أعطاهم ذلك في الدنيا قبل أولئك وهو أيضاً يعطيها لهم قبلهم في القيامة .

نعم المسيح

فانظر يا حبيب هذه النعمة العظيمة التي وهبها تعالى للمؤمنين باسمه بسبب هذا التعب اليسير الذي يحتملونه في الدنيا . كذلك إن عاش أحدنا في الدنيا مائة سنة واحتمل تعب شريعة المسيح ، لم يكن تعبهُ كساعة واحدة في الجحيم من تعب أولئك الذين احتملوه تلك السنين الطويلة : جعل هذه المدة اليسيرة لنا بعد ما ناله أولئك بذلك التعب الطويل في الآلاف من السنين . ونحن مع ذلك نضجر من التعب ولا نذكر قوله أن الذي يصبر إلى المنتهى يخلص . وقوله : احتملوا نيري عليكم وأنتم تجدون راحة نفوسكم لأن نيري هين وحمل خفيف .

لأنه حمل خفيف إذا قيس بذلك الحمل المر المتعب الذي حمله أولئك الآباء الصديقون في هذه الآلاف من السنين . فإمر ذلك الحمل وأثقله وأحلى هذا وأخفه ، ونحن بهذا نال ما ناله

أولئك . ولعله أننا نحن كثيرو الاسترخاء ، نميل إلى الدنيا ،
 فرح نفوسنا بسبب ذلك النعيم الأبدى . ولذلك نحصل ما يأتي
 علينا من مصائب الدنيا وأحزانها لكي بذلك النعم اليسير نربح
 ملكوت السموات ، لأننا لا نتدر أن نناله بغير تعب فيكون
 آدم ونوح وإبراهيم وموسى مظلومين ، نالوه بالتعب ونحن نناله
 بالراحة . ولذلك كثرت علينا الأحزان ومضايقة الأعداء . وقد
 قال لنا : « أنا مرسلكم مثل الخراف بين الذئاب » .

متاعب المؤمنين والصبر عليها

قال : « سيضعون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلبونكم
 إلى المحافل والمجامع والسجون ويدفعونكم إلى الولاة والملوك
 من أجل اسمي . ويكون لكم ذلك شهادة فلا تهتموا بماذا
 تقولونه ولا تفكروا ولا تعنوا بما تجاوبونهم به ، فإني معطيكم
 من قبل الروح القدس ما تتكلمون به وأنا معطيكم فهماً وحكمة
 لا يقدر جميع المتقاومين لكم على مقاومتها ولا الجواب عنها » .

وقال : « حسب التليذ أن يكون مثل معمله والعبد مثل
 سيده ، إن كانوا قد طردوني فسوف يطردونكم . وإذا كنت
 أنا معلسكم دعوني يبعزبول أي مقدم الشياطين ، فإذا عسى
 أن يقولوا لكم . طوباكم إذا طردوكم وعيروكم وكذبوا عليكم

وقالوا عنكم شراً من أجل اسمي ، أفرحوا وتهلّلوا فإن أجركم
 عظيم في السموات » . وقال أيضاً : « طوبى للطرودين من أجل
 البر فإن لهم ملكوت السموات » . وقال « من أراد أن يخلص
 نفسه فهو يهلكها ومن أهلك نفسه من أجل وجدها . ماذا
 ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » . وقال أيضاً :
 « من أحب نفسه فليهلكها ، ومن أبغض نفسه في هذا العالم
 يحفظها للحياة الأبدية » . وقال أيضاً : « من أراد أن يأتي ورائي
 فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » . وقال : « لكم ضيق في
 العالم ولكن تقربوا أنا غلبت العالم » . وقال : « تكونون مبغضين
 من الجميع من أجل اسمي ، وشجرة من رؤوسكم لا تهلك
 وبصبركم ترجون أنفسكم » .

ضرورة احتمال الضيقات لتنال النعيم

وليس قوله كني يتبأ على ما سوف يكون ، بل قوله تحتم
 وتقدير ، لأنه إله كما أنه قال : يا سماء كوني ويا أرض كوني
 فسكانا . وكما أنه كون كل شيء بقوله ، كذلك بقوله : تكونون
 مبغضين من الجميع من أجل اسمي ، وقوله : سيكون لكم ضيق
 في هذا العالم ، حتم الضيق علينا والبغضة من كل أحد بهذا
 القول لكي بصبرنا ننال النعيم الذي لا يناله أحد إلا بالتعب .

ولنما فعل ذلك بنا لعله أننا نسترخى ونتهاون بالثعب الذى
 أمرنا أن نحتمله بهوانا ، الجوع والعطش والحزن والبكاء ،
 فنفسر النعم الأبدى . رحمتنا الرب وأكثر أجر الضيق علينا
 والبغضة من الناس ، لكي باحتمالنا ننال النعم . فلو كنا نداوم
 حفظ ما أوصانا به من تحمل الجوع والعطش والحزن والبكاء ،
 لما ابتلانا بشيء من مضايقات الأعداء والبغضة من الناس . وإنما
 عندما يرانا نميل إلى الله والراحة الجسدانية ، يسلط علينا
 الضيق بغير اختيارنا لكي يؤدبنا به ويحصل لنا الأجر باحتماله .
 فلو لا حبه لنا لم يؤدبنا . إذ كان لا يؤدب الوالد إلا ولده ،
 والغريب منه لا يؤدبه . كما قال بولس : يا ابنى لا تضجر من
 أدب الرب ولا تفشل إذا ما أدبك فمن أحبه الرب أدبه .
 وهو يعاقب الذين يقبلهم . فمن أراد منا أن لا يبتلى ببياسة من
 عدو أو مرض أو خسارة أو موت فليلازم حفظ الرصايا
 الصعبة ، وتحمل الجوع والعطش والحزن والبكاء . ومن كان منا
 لا يلازم ويتسلى بموت حبيب أو مرض أو غرامة أو قيام
 الأعداء فليعلم أن الله يحبه ولذلك أدبه ، ويجب عليه أن يتقبل
 التعب باختياره .

سبحان الله الذى خلقنا من غير حساب
 + + +

الله يترك بغير عقاب في الدنيا لعقاب ابدى

يقول القديس ساويرس : ومن كان لا يلازم ما قد أوصانا
 به من الجوع والعطش والحزن والبكاء وهو سالم من الأمراض
 وموت الأحياء ومصائب الأعداء والغرامة ، فليعلم أن الله
 سيعاقبه . ولذلك يتركه بغير عقاب في هذه الدنيا حتى يعاقبه
 بعد الموت في العقاب الأبدى ، كما شهد في إنجيله المقدس أن الغنى
 المتمتع في الدنيا طرح بعد الموت في العقرية . ولما سأل ابراهيم
 أن يرسل إليه لعازر المسكين لكي يرد لسانه يدير من الماء في
 طرف أصبعه قال له ابراهيم : اذكر أنك قد استوفيت
 خيرتك في الدنيا ولعازر بلايا . فهو هنا يتيح وأنت تعذب .

ماذا نتعلم من قصة العازر

أوضح لنا الإنجيل المقدس بهنا القول أن الذى لا يحمد
 نفسه في هذه الدنيا في العمل برصايا الله ولا يتعب ببلاياها كما
 تعب لعازر بالقر والمرض ، فإنه يكون بعد الموت دائماً في
 العذاب . والمتعب في هذه الدنيا إما من قبل نفسه أو من قبل
 الله فهو يتيح بعد الموت في النياح الأبدى .

فيجب علينا ألا نضجر إذا ابتلينا ببلايا الدنيا ، ونقبل

ذلك بشكر وفرح ، لما تعلم فيه من المنفعة التي تدخلنا إلى
النعم الدائم .

فنسأل الرب يسوع المسيح المنعم علينا بالخلاص أن يؤهلنا
لقبول التعب على اسمه المقدس ، وأن يمنحنا الصبر على ذلك
والشكر عليه . وله ينبغي الشكر والابتهال إلى أبد الآبدين
ودهر الدهور آمين .

† † †